Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 3 (2023) • P: 73 - 50
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Description of Development in Andalusian Poetry "The Palaces of the Kings of the Taifas" Artistic Study

Mr. Mutair Eid M. Alatawi
Ministry of Education | KSA

Received: 06/11/2022
Revised: 17/11/2022
Accepted: 09/02/2023
Published: 30/06/2023

* Corresponding author: m101m9@gmail.com

Citation: Alatawi, M. E. (2023). Description of Development in Andalusian Poetry "The Palaces of the Kings of the Taifas" Artistic Study. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 2(3)*, 50 – 73. https://doi.org/10.26389/AJSRP.R061122

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The current study aimed at explaining Development in Andalusian poetry, the palaces of its kings, and the nature of life in the period of The Palaces of the Kings of the Taifas, as well as poetry about palaces after the decline and fall of states, and then the impact of palaces in literary life. The researcher relied on several approaches in this study, including the descriptive analytical and deductive approach, the historical approach. The study in its general framework consists of an introduction, a preface, three chapters a conclusion, then the conclusion and the results of the research, and indexes. After reviewing the core issues the research resulted in a number of results, including: that the fall of the Umayyad Caliphate in Andalusia was the beginning of civil wars due to ethnic and national conflicts between Arabs and Berbers that contributed to the rupture of the unity of Andalusia.This resulted in the emergence of several states in Andalusia known as "the Taifas" states. And the time of the Taifas kings began from the year (422-487 AH, 1029-1092) in Andalusia and these states inherited the place of the caliphate, and the name " the Taifas" became clear in describing the country which was distributed by several kingdoms, and hose states were divided into three categories: Arabs, Berbers, and loyalists, and this division was according to the families that ruled them and their ethnic affiliation. The system of government in most cases was tyranny, dictatorship and fighting, because every ruler made himself a king and an authority, and he was called the "Commander of the believers". The period of the " Kings of the Taifas " was characterized by social disintegration and political weakness, but it was a time of civilized progress and cultural advancement, and the atmosphere created a suitable place for writers and poets, and the literary movement was very active, where Andalusians contributed to spreading the common Arab heritage, period of the " Kings of the Taifas " was also considered as one of the most prominent period of literature flourishing. And thought in Andalusia, where Arabic literature flourished in this period was unparalleled in other period that preceded it.

Keywords: Andalusian Poetry- Palaces of the Kings of the Taifas- Arab literature.

وصف مظاهر العمران في الشعر الأندلسي "قصور ملوك الطوائف" دراسة فنية

أ. مطير عيد محمد العطوي
وزارة التعليم | المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدف البحث استخلاص مظاهر العمران في الشعر الأندلسي وعن الحياة -عامة - في عصر ملوك الطوائف، ورثاء القصور "عقب سقوط الدويلات، ثم أثر القصور في الحياة الأدبية، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي، وتكون البحث من مقدمة وتمهيد ثلاثة مباحث وخاتمة ونتائج البحث، وأسفر البحث عن جملة من النتائج منها: أن بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس اندلعت الحروب الأهلية بسبب النزاعات العرقية والطائفية بين العرب والبربر التي أسهمت في تصدع وحدة الأندلس، فنتج عن ذلك قيام دول متعددة في الأندلس عرفت بدول الطوائف، بدأ عصر ملوك الطوائف (422-487هـ ، 1029-1092م) بالأندلس ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة، وأصبحت تسمية "دول الطوائف" واضحة المدلول في وصف حال البلاد الذي توزعته عدة ممالك، وتوزع هذه الدويلات كان تبعاً للعوائل التي حكمتها وانتمائها العرقي إلى فئات ثلاث : العرب ، البربر ، الموالي، كان نظام الحكم يميل في أغلب الأحيان إلى الاستبداد والاستهانة بالدماء، وجعل كل حاكم نفسه ملكاً وسلطاناً، وصار يلقب "بأمير المؤمنين" وكان عصر الطوائف يتّسم بالتفكك الاجتماعي والضعف السياسي إلا أنه كان عصر زهو حضاري ورقي ثقافي، وقد هيأ الجو مكانا مناسبا للأدباء والشعراء ونشطت حركة الأدب كثيراً، وأسهم الأندلسيون في إثراء التراث العربي المشترك بآثار من طراز رفيع برهنت تلك الآثار على أن عصر ملوك الطوائف كان أبرز عصور ازدهار الأدب والفكر في الأندلس، فقد ازدهر الأدب العربي في هذا العصر - ملوك الطوائف - ازدهاراً لم يكن له نظير في العصور التي سبقته. وقد تمثلت مجالات وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي في مجال الموسيقى الداخلي والخارجي، والصورة الخالية والأسلوب اللغوي.

الكلمات المفتاحية: مظاهر العمران، الشعر الأندلسي، قصور ملوك الطوائف

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد: فما من حضارة إنسانية قامت إلا ولها ملامحها العمرانية ، وقد انتقلت أساليب البناء وفنون العمارة من عصر إلى عصر ، ومن بلد إلى آخر ثم أضيف إليها بعض الأساليب الجديدة بما يتلاءم مع معطيات الحضارة السائدة في كل أمة، وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - بعض نماذج الحضارة الإنسانية الأولى في كتابه الكريم ، كحضارة عاد وثمود ، وذكر - كذلك - عرش "بلقيس" العظيم وغيره ، وإن آثارهم لتظل شاهدة على ما كان لهم من قوة مكنتهم من تشييد أبنية ضخمة، أو نحتها في الصخر ، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74] وقال أيضاً : ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: 7-8] ولم يكن النشاط العمراني وليد عصر بعينه، بل وجد مع وجود الإنسان على ظهر البسيطة، ومهما يكن من أمر فإن الناظر في تراث الأندلس ليقف مشدوهاً أمام ما يزخر به من ثقافة وحضارة وعمران ، مما جعل من الأندلس على مر العصور معيناً لا ينضب، ونبعاً لا يغيض، يقبل عليه أهل الشرق والغرب بدراسات وبحوث لم تنقطع يوماً؛ ولعل ذلك راجع بالأساس إلى الحضارة الإسلامية التي سادت لقرون عدة في تلك البلاد.

أما الشعر لم يكم مقتصراً على الفئة المعروفة من الشعراء فقط، بل عمّ جميع طبقات المجتمع الأندلسي ، وعلى الرغم من ضياع قدر كبير من التراث الأندلسي على اختلاف أنواعه؛ لما أصاب تلك البلاد وما ألم بها وبأهلها من كوارث وأهوال، فإن ما بقى من آثارهم يكشف عن عظيم حضارتهم في المجالات العلمية والأدبية والفلسفية والمعمارية، ومن هنا كان ثراء الموضوعات المستمدة من هذا التراث الأصيل الذي أعطى صورة جلية عن الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس، وكان من أهمها البيئة الأدبية الشامخة بأعلامها وأجناسها الأدبية، وبغزارة إنتاجها إذ شارك الأديب في التعبير عن بيئته بكل ما فيها. فقد ازدهر الأدب العربي في هذا العصر - ملوك الطوائف - ازدهاراً لم يكن له نظير في العصور التي سبقته، وربما في العصور التي تلته؛ لأن عصر ملوك الطوائف كان يمثل نضج الثقافة ، وكان حظ الأدب من هذه الثقافة وافراً ، لذلك كثرت الدراسات للحياة الأدبية في هذا العصر باعتباره عصر أعلام الشعر الأندلسي إذ قد أنجب عصر الطوائف عدداً كبيراً من الشعراء منهم: ابن دراج القسطلي (ت 421هـ) ، وابن شهيب (ت 426هـ) ، وابن زيدون (ت 463هـ)، وابن عمار الأندلسي (ت 477هـ). ، وابن وهبون المرسي (ت 484هـ) ، وابن حمديس الصقلي (ت 527هـ) ، والمعتمد بن عباد (ت 488هـ) ، وابن اللبانة (ت 507هـ) ، وآخرين.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

المتتبع في تاريخ الحضارة الإسلامية يجد أن العرب المسلمين بعد أن فتحو بلاد الأندلس قد ساهموا في تقدم الحضارة الإسلامية العريقة التي غدت مضرِب الأمثال فترة ليست بالقصيرة من عمر الإنسانية، ثم تابعها حضارات من خلال العصور، أما عن عصر "ملوك الطوائف" فهو فترة تاريخية تمتد من بدايات القرن الخامس الهجري إلى قرب نهايته (422-484هـ ، 1029-1091م) وذلك حين فتّ الطمع والاستبداد في عضد الأندلس القوي حتى سقطت الخلافة الأموية في الأندلس؛ بسبب نشوء ثورة الأمازيغ، وجملة من المناورات والمشاحنات، فإذا بنا نقف على دولة تئن من جراح الفتن والنكسات، وتتألم من المحن والنكبات، حينئذ نشأ ملوك الطوائف الذين قسموا الدولة إلى اثنتين وعشرين (22) دويلة عرفت بدول الطوائف أو ملوك الطوائف .

وكان الاعلام السائد عندهم هو الشعر وهذا ما يجعله احد أهم أدوات التتبع التي سيتم استخدامها في هذا البحث، ولم يترك الشعر تفصيلا في تلك القصور الا تناوله بالوصف، وحلاه بالتصوير، وزينه بالمدح وأحاطه بالإعجاب من عمارة وهندسة وزخرفة ، وما يدور بداخل هذه القصور من مطارحات ومساجلات أدبية وشعرية ومجالس للشرب والطرب وغير ذلك، حتى صار شعر وصف القصور خاصة ومظاهر العمران عامة وسيلة من وسائل

توثيق الأحداث السياسية إضافة إلى كونه كاشفاً عن الحركة الأدبية، وواصفاً الحياة الاجتماعية، وكان في هذا العصر من صناعات وجدت في قصور الحكام، مثل صناعة النقود والورق كما امتازت تلك البلاد "الأندلس" بجمال فاق كل جمال في خضرتها ومناخها وأنهارها وخيراتها ، فماؤها فياض، ودوحها مثمر، وطبيعتها خلابة نابضة بالحياة والحيوية ، وهذا ما عبر عنه الشاعر ابن خفاجة بقوله :

يا أهلَ أندلسٍ لله دركمُ ماءٌ وظلٌ وأنهارٌ وأشجارُ
ما جنةُ الخلدِ إلا في دياركمُ و لو تخيَّرت هذا كنتُ أختارُ

و من ذلك أيضاً تلك الأبيات التي تنسب إلى شاعرة أندلسية تدعى "حمدة بنت زياد المؤدب" :

وقانا لفحةَ الرمضاءِ وادٍ سقاه مضاعفُ الغيثِ العميمِ
حللنا دوحَهُ فحَنَا علينا حنوَ المرضعاتِ على الفطيمِ
و أرشفَنا على ظمأٍ زلالاً ألذ من المدامة للنديمِ
يروع حصاه حالية العذارى فتلطم جانب العقد النظيمِ(1)

فقد عني الأندلسيون كذلك بمظاهر الطبيعة في بلادهم واحتفلوا بها ، وصفوها فأحسنوا الوصف، وصوروها فأبدعوا التصوير، وبثوها آلامهم وأشجانهم، وصفوا الأرض وما عليها من أنهار، ووديان، وجبال، وأشجار وأزهار، والسماء وما فيها من أجرام، وأطيار.

من خلال البحث في الشعر الاندلسي يمكن ملاحظة عدم تتبع أو العناية أو ابراز مظاهر عمران "قصور ملوك الطوائف" مما يجعل هذا البحث فرصة ناجحة جديرة بالتقصي وتستحق الإبراز بشكل علمي مدروس، للوقوف عليها وإبرازها، وتأسيساً لما سبق تتحدد تساؤلات موضوع البحث في السؤال الرئيسي التالي: ما وصف مظاهر العمران في الشعر الأندلسي "قصور ملوك الطوائف"؟ ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

1- ما طبيعة الحياة في عصر ملوك الطوائف؟
2- ما وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي؟
3- ما الظواهر فنية في شعر وصف قصور ملوك الطوائف؟
4- ما مجالات وصف الظواهر الفنية "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي؟

أهداف البحث:

تتمحور أهداف هذا البحث في المسائل التالية:

1- التعرف على طبيعة الحياة في عصر ملوك الطوائف.
2- وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي.
3- بيان الظواهر فنية في شعر وصف قصور ملوك الطوائف
4- إبراز مجالات وصف الظواهر الفنية "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي.

حدود البحث:

تنحصر حدود البحث الموضوعية في إبراز مجالات وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي من حيث اللغة - الصورة الخيالية، ظواهر فنية في شعر وصف قصر ملوك الطوائف، الموسيقى "خارجية - داخلية"

منهج البحث:

وقد اتبع الباحث في تحرير هذا البحث المتواضع منهج البحث العلمي المتعارف عليه واعتمد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يوصف بأنه: ((مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها كافيا ودقيقا؛ لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع)) [(1)]

مصطلحات البحث:

مفهوم العمران لغة:

قال ابن فارس: العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو، من صوت أو غيره، فالأول العمر وهو الحياة، وهو العمر أيضا. وقول العرب: لعمرك، يحلف بعمره أي حياته[(1)].

العمران اصطلاحا:

يعد ابن خلدون من أوائل العلماء الذين تناولوا مفهوم العمران وهو يرى أن العمران هو التساكن والتنازل في مصر أو حلة ، للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش[(2)].

وهو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية للبشر في جميع ظواهرها ، ويربط بين العمران وأسلوب الحياة وكسب الرزق، فيجعل ما يجمع الناس في عمران واحد هو تعاونهم وتحصيل معاشهم.

فالعمران بمفهوم شامل يمكن تناوله من منظورين أحدهما يرى العمران "نتيجة "والأخر يراه " وسيلة " فالاتجاه الأول في تناول العمران يجعله هو " نتيجة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة الطبيعية في استقاء حاجاته المادية والروحية "[(3)] وبذلك نرى أن طرفي التفاعل هما الإنسان والبيئة، ومحددات هذا التفاعل هي محددات تلك البيئة الطبيعية والثقافة والاجتماعية وغيرها.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع على دليل الجامعات، ودليل المكتبات المفهرسة، والشبكات العنكبوتية، والدوريات، والرسائل العلمية لم يقف الباحث على دراسة ذات صلة مباشرة بموضوعه، إلا أن ثمة دراسات غير مباشرة تفردت كل منها بخاصية في أهدافها، ومنهجها، ونتائجها، والتي يمكن الاستفادة منها في بعض الجوانب، ويمكن بيان أهم تلك الدراسات في المحاور الآتية:

دراسة: بكور حسن فالح حسين: **صورة العمران الداثر في الشعر الجاهلي "2007م**، هدفت الدراسة إلى التعرف على أحوال العرب المعيشية في العصر الجاهلي وأنماط سكناهم التي كان الحديث عن مشكل الفناء ثم ذكر بعض المظاهر العمرانية العامة التي تعود ملكيتها لفرد أو أسرة. واستخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توقف البحث مع ظاهرة الأطلال في الشعر الجاهلي من حيث هي أماكن وعمران في أصلها ثم تحولت إلى فناء واندثار، الأمر الذي حرك الشاعر الجاهلي إلى التوقف مع هذه القضية، وبدأ بتشكيل رؤية فلسفية معينة بوحي من هذه الأطلال الداثرة، وربما توصل إلى تحويلها إلى مادة دفع إيجابي للبحث عن الحياة والاستمرار فيها من خلال ردة فعل إيجابية نفسية. وقد حاول البحث التوقف مع عدد غير قليل من شعراء الجاهلية الذين انتبهوا إلى هذه المسألة الإنسانية المقلقة، وذلك من خلال دراسة رؤية الشاعر لواقع التدمير الذي حل بالأمم السابقة، منتبها إلى وقائع قريبة العهد به وبقومه، فاتحا من خلال هذه الرؤي قنوات تحذير وإشارات اعتبار لنفسه ولقومه وللآخرين، وقد نبه البحث إلى

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة (4/ 140)

(2)ابن خلدون، عبد الله، المقدمة دار الفكر ط2، 2007م،ص:56

(3) نبيل فرج، حسن فتحي، العمارة الإنسانية للمهندس، ص:31

أنماط هذه الرؤي ومصادرها فكان منها الذاتي ومنها تأثيرات الكتب السماوية واقتراب بعض الشعراء من أهل الكتب وما جاءت به من قناعات دينية ويقينية أثرت في تشكيل رؤية معينة لدي الشعراء.

دراسة: الراقب شفيق محمد: **مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ 2012م**" هدفت الدراسة إلى إبراز مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام كما تمثلت في هذا الكتاب، وقد تبيّن أنّ أسامة قد ألقى أضواء كاشفة على كثير من مظاهر الحياة في عصره، وصوّر أحوال بعض البلدان الشاميّة وحظّها من العمران، وازدهار الزراعة، وتكاثر الثروة الحيوانيّة، كما صوّر قوّة الروح الحربيّة في نفوس القوم، وبطولات بعض الفرسان المسلمين، وبعض الأساليب المتّبعة في تربية الناشئة، بالإضافة إلى تصوير جوانب من أخلاق الفرنجة المحتلين وطباعهم، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي.

دراسة: بكور، حسن فالح حسين: **العمران ومظاهر الحضارة وانعكاسها في الشعر الجاهلي 2017م**، هدفت الدراسة إلى بيان قضية العمران ومظاهر الحضارة وانعكاسها في الشعر الجاهلي، وقد اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال تتبع الظاهرة في الشعر الجاهلي، ولتحقيق ذلك تناولت الدراسة عدة مباحث منها: التمهيد، ومفهوم العمران لغة واصطلاحا في المعاجم العربية، ومفهوم العمران عند ابن خلدون، وفي القرآن الكريم، وأخيرا مظاهر العمران والحضارة في الشعر الجاهلي، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها: وجود المظاهر العمرانية ومنها القصور والمدن والقرى على نطاق ضيق في العصر الجاهلي، كما توصلت الدراسة إلى أن حركة الشعر لم تكن منفصلة عن التطور الحضاري المادي، فقد كان الشعر مرآة تعكس مظاهر التمدن والتحضر باعتباره ديوان العرب.

دراسة: قناطير، هناء عبد الحكيم: **التشخيص في وصف العمران في نماذج من شعر البحتري، -284 هـ والصنوبري، -334 هـ، 2021م**، تناول هذا البحث (التشخيص)، وهو أحد المظاهر التي كانت مثاراً للجدل والأخذ والرد في محاولة لتقريب هذا المفهوم، وقد خصصته أكثر من خلال تتبعه في وصف العمران لدى شاعرين مجيدين، هما (البحتري) و(الصنوبري). واستخدم المنهج الوصفي، وقد اكتفيت بدراسة بعض الأبيات المختارة فقط من شعرهما، إذ لم أر موضوعاً أكثر مناسبة من صوف العمران للتبع التشخيص فيه. أوردت في المبحث الأول نبذة عن الشاعرين ومذهبهما، وتناولت في الثاني مفهوم التشخيص ونظرة النقاد له، أما الثالث فكان تطبيقياً تناولت فيه أنماط التشخيص وأساليبه في نماذج من شعر الشاعرين مع عرضٍ لأوجه الشبه والاختلاف بينهما، وقد توصلت الدراسة إلى أهمية التشخيص في توضيح المعاني، والتعبير عن اللغة بأسلوب المجاز مما يجعلها لغة شعرية، وقد أسهم التشخيص عند البحتري في إبراز موصوفاته من العمران وتقريبها من خيال المتلقي، كما ساعد عند الصنوبري في تشكيل صورة حية للمدن التي وصفها، وتوصلت الدراسة إلى قوة لغة البحتري مقارنة بالصنوبري، وهو الذي أتى من البداوة إلى الحضارة، أما الصنوبري فلم يكن له اتصال بالبيئة البدوية.

التعليق على الدراسات السابقة:

يظهر من خلال عرض الدراسات السابقة وجود القواسم المشتركة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية في بعض المتغيرات التي طرحتها، حيث تتفق بعضها معها في المنهج المستخدم، ومفهوم بعض المصطلحات، والحد المكاني، فقد اختلفت الدراسة الحالية مع الدراسة الأولى في المنهج المستخدم واختلف في الهدف الرئيسي حيث هدفت الدراسة الاولى إلى التعرف على أحوال العرب المعيشية في العصر الجاهلي وبعض القضايا الدينية، وكذلك الدراسة الثانية قد اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي وتناولت عن شخصية ابن خلدون، واتفقت معها في مفهوم العمران لغة واصطلاحا في المعاجم العربية، أما الدراسة الثالثة فقد اختلفت مع الدراسة الحالية في الحد الموضوعي للدراسة حيث تناولت مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، وكذلك الدراسة الرابعة تناولت جانب التشخيص في وصف العمران في نماذج من شعر البحتري، -284 هـ

والصنوبري، واكتفيت بدراسة بعض الأبيات المختارة فقط من شعرهما، وعلى الرغم مما تناولت تلك الدراسات من المتغيرات، فقد استفادت هذه الدراسة منها كمعرفة المصادر والمراجع التي لها تعلق مباشر بموضوع البحث، ومعرفة المنهج المناسب في سبيل تحقيق أهداف الدراسة الحالية.

أما المنهجية المتبعة في تحرير البحث فقد تم تقسم البحث إلى ثلاثة مباحث وفق التالي :

المبحث الأول: وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي.

المبحث الثاني: ظواهر فنية في شعر وصف قصور ملوك الطوائف

المبحث الثالث: إبراز مجالات وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول: وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي.

الحياة في عصر ملوك الطوائف:

خص الله - تعالى - بلاد الأندلس من الربع ، وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابيضاض ألوان الإنسان ونبل الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك وأحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها(1) .

ولكن بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سادت حالة من الارتباك والحيرة واندلعت حروب أهلية مدمرة ذهب ضحيتها الكثير من الناس(2) ثم تبينت خيوط هذه الحالة وتمخضت عن قيام دول متعددة في الأندلس عرفت بدول الطوائف ، وتفاقم الخطر النصراني ، وتعاظم دور اليهود في كثير من مدن الأندلس ، ناهيك عن النزاعات العرقية والطائفية التي أسهمت في تصدع وحدة الأندلس ، وأصبحت تسمية "دول الطوائف" واضحة المدلول في وصف حال البلاد الذي توزعته عدة ممالك ، وإن تفاوتت قوتها وأهميتها ومساحتها ودورها في أحداث الأندلس.

بدأ عصر ملوك الطوائف (422-487هـ ، 1029-1092م) بالأندلس ليتجه كل واحد من الأمراء إلى بناء دولة صغيرة على أملاكه ، ومقاطعاته ، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه ، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة ، (وليس هناك من تفاوت كبير بين هذه الإمارات فيما تنتهجه من نظم سياسية أو إدارية ، فالسيد فيها ذو سلطان مطلق ، يميل في أغلب الأحيان إلى الاستبداد والإستهانة بالدماء وانتهاز الفرص مع ميل إلى الاستكثار من أسباب الترف وضروب العمران ... أما العلاقة بين هذا السيد والشعب فهي علاقة الجباية نظراً لحاجته إلى المال لإعداد الجند وغير ذلك من شئون دولته وأسباب ترفه)(3).

و توزعت هذه الدويلات تبعاً للعوائل التي حكمتها وانتمائها العرقي إلى فئات ثلاث : العرب ، البربر ، الموالي .وكان من هذه الدويلات :

1- دولة بني عباد : وهم من أهل الأندلس الأصليين الذين كان يطلق عليهم اسم "المولدين" وقد أخذوا منطقة إشبيلية.
2- .دولة بني زيري : وهم من البربر ، وقد أخذوا منطقة غرناطة ، وكانت إشبيلية وغرناطة جنوب الأندلس.
3- دولة بني جهور : وقد أخذوا منطقة قرطبة وسط الأندلس(1).
4- دولة بني الأفطس : وكانوا - أيضاً - من البربر وقد استوطنوا غرب الأندلس ، وأسسوا هناك إمارة بطلْيَوس الواقعة في الثغر الأدنى.
5- دولة بني ذي النون : واستوطنوا المنطقة الشمالية التي فيها طليطلة وما فوقها "الثغر الأوسط".
6- دولة بني عامر : واستوطنوا شرق الأندلس وكانت عاصمتهم بلنسية.

7- دولة بني هود في منطقة "سرقسطة" التي تقع في الشمال الشرقي .

(وهناك فضلاً عما ذكرنا دويلات أخرى كثيرة مثل دولة بني القاسم في الفنت ، ودولة بني رزين في شنتمرية الشرق (أو شنتمرية ابن رزين) وإمارة سعيد بن هارون وابنه محمد علي شنتمرية الغرب ، وإمارة بني مزين في شلب ، وبني يحيى في لبله ، وبني بكر في ولبه ، وبني برزال في قرمونة)(2).

استقل كل أمير بناحية أو حاضرة "مدينة" وجعل من نفسه ملكاً وسلطاناً ، وصار يلقب "بأمير المؤمنين" فكان الرجل في ذاك الوقت يسير مسيرة اليوم والليلة فيمر على ثلاثة من أمراء المؤمنين ، وذلك لأن كل دويلة من هذه الدويلات كانت صغيرة المساحة ، ربما كانت بمنزلة ما يسمى اليوم "محافظة" في أية دولة ، ومع ذلك كان لها أمير وجيش وسفراء وأعلام ، وسياج من حولها ، وربما لا تملك من مقومات الدولة شيء (و وصلت الحال بهذه البلاد إلى درجة كما وصفها أبو محمد بن حزم : فضيحة لم يقع في العالم مثلها : أربعة رجال في مساحة ثلاثة أيام في مثلها كلهم يتسمى بإمرة أمير المؤمنين ، ويخطب لهم بها في زمن واحد)(3).

وأضحى الأمراء يفتعلون الصراعات بسبب الحدود ، وأصبحت المدن والحواضر تحارب بعضها بعضاً ، فهذه قرطبة تصارع إشبيلية ، وهذه بلنسية تصارع سرقسطة ، وعلى هذا ظل الوضع من الصراع بين الممالك في تلك الفترة . كذلك كان هناك من الكوارث ما يندي له الجبين ، كاستجداء النصارى والاستقواء بهم في حربهم ضد إخوانهم - وما أشبه الليلة بالبارحة - فكل دويلة ذات جيش لكنه ضعيف إلا على إخوانه ، ومن ثم لابد لهم من معين يستقوون به على إخوانهم في الدويلات والممالك الأخرى.

بالإضافة إلى أن أمراء المؤمنين - على حد تسميتهم لأنفسهم - كانوا يدفعون الجزية للنصارى ، فكانوا يدفعون الجزية للأذفونش "ألفونسو" السادس حاكم قشتالة حتى يحفظ لهم أماكنهم وبقاءهم في حكم بلادهم(1).

ولكن الخير قد يكون كامناً في الشر ، فمع كل هذه القلاقل والمخازي والاضطرابات السياسية التي انتشرت في جميع مناطق الأندلس ، فإنه على النقيض وفي الجانب الآخر نشأت حركة ثقافية وفكرية وتنافس قلَّ نظيره ، فأقبل الناس على الكتابة والشعر وازدهر النتاج الأدبي والفكري في شتى المجالات بتعدد الحواضر ووجود الأرض الخصبة لذلك ، فطرق الأندلسيون في مؤلفاتهم وأشعارهم جميع الأغراض والفنون وإن كانوا أولوا الطبيعة والملذات أهمية وعناية خاصة (إذن على الرغم من الفرقة السياسية التي ضربت أطنابها ببلاد الأندلس خلال فترة ملوك الطوائف ، لكن رافقها نشاط الحركة العلمية والأدبية ، وذلك لرعاية ملوك الطوائف العلماء والأدباء ، ولأن معظمهم كان من رجال الأدب ، فبذلك غدت قصورهم منتديات أدبية ومجامع حقة للعلوم والفنون)(2).

و على الرغم من أن عصر الطوائف كان يتصم بالتفكك الاجتماعي والضعف السياسي إلا أنه كان عصر زهو حضاري ورقي ثقافي (وإن أول ما يلفت نظرنا في عصر ملوك الطوائف اضطراب الحياة الاجتماعية بالفتن الداخلية ، بالمنازعات بين العرب والبربر ، وبالاقتتال بين ملوك الطوائف وبالحرب بين المسلمين والنصارى ، وفي أثناء ذلك كله كان السكان يخضعون لهجرات إجبارية أو اختيارية ، هجرات داخلية بين مدن الأندلس ، وقد تكون الهجرة خارجية فيغادر الأندلسيون مدنهم إلى المغرب ، وخصوصاً حين يستولي الإسبان النصارى على المدن الأندلسية ، ولقد نشأ في أثناء ذلك كله نفر من المسلمين أنفسهم ، انتحلوا المغامرة والشطارة ، تنقلوا بين المدن يسلبون وينهبون وربما قتلوا وخربوا)(1).

يقول دكتور إحسان عباس : (وفي هذا الجو المتقلب المتموج برزت شخصية الرجل القلق المغامر الذي يتجول من بلد إلى بلد عارضاً مهارته على من يقدرها حق قدرها ، يستوي في هذا مختلف ذوي المهارات المطلوبة من جندي وكاتب وشاعر ... ولم يكن اختلاف الدين حاجزاً في مثل هذه الأمور)(2). وقد عاش الشعر في هذه الحقبة مع الحياة وغدا ظلاً لها ولأن ملوك الطوائف - بغية التمايز عن حكم الخلافة الأموية في الأندلس ودعماً ودفاعاً عن شرعيتهم في الحكم وقد كانت محل شك - حاولوا الاقتراب من أعداء بني أمية وهم العباسيون ببغداد ، والفاطميون

بمصر فقد تشبهوا بهم في زينة الملك وأبهته ، وكذلك في مواقفهم من الأدب والأدباء حتى أصبح "الأنموذج المشرقي" أظهر في هذا العصر منه في جميع عصور الأندلس(3).

وكان من آثار تعدد "البلاطات" - إن صح التعبير - وتنافس الأمراء على الأدباء أن نشطت حركة الأدب كثيراً وانطبع بخصائص حياة البلاط ومطالب الأمراء ، وعاش بالجوائز والهبات ، وخدم مصالح رعاته وعبر عن أذواقهم ، وأضحى "المتنبي" مثلاً فنياً أعلى - ربما لتشابه الظروف - فقد تمكن الأندلسيون في القرن الخامس الهجري بفضل غزارة إنتاجهم وقيمته الفنية من إقامة الدليل على أنهم لم يكونوا أقل قدرة من المشارقة ، وأسهموا في إثراء التراث العربي المشترك بآثار من طراز رفيع برهنت تلك الآثار على أن عصر ملوك الطوائف كان أبرز عصور ازدهار الأدب والفكر في الأندلس ، فهو عصر ابن زيدون ، والمعتمد بن عباد ، وابن دراج القسطلي ، وابن حمديس ، وابن خفاجة ، وابن حيان ، وابن شهيد ، وابن عبد البر ، وابن سيده ، وابن السيد البطليوسي والأعلم الشنتمري وغيرهم .

أما عن مظاهر الترف في عهد الطوائف فحدث ولا حرج ، فقد كان إنفاقهم على بناء القصور والدور واقتناء فاخر الأثاث ورفيع الرياش وسائر صنوف الترف ما يجوز حد التخيل(1) ولم يكن هذا الثراء خاصاً بذوي القصور والأمراء ، بل كان يشمل طبقات أخرى من الناس ، من أبرزهم التجار وبخاصة تجار الرقيق والمقربون من الحكام وطبقات الفقهاء والمنتفعون بالمغامرة(2) ومن الطبيعة أن يكون إلى جانب ذلك حرمان عسير شامل لطوائف كثيرة من الناس ، وأن تنتشر الكدية على نطاق واسع .

وحين يتنافس الأمراء فيما بينهم في بناء القصور واتخاذ الأبهة وانتحال ضروب التفخيم يرتفع من حولهم - في العادة - فئتان ، فئة الكبار من رجال الدولة لاتحاد المنفعة ، وللاشتراك في طرق الكسب والجمع ، وفئة تجار الكماليات الذين تنفق سلعهم - في مثل تلك الأحوال - بما يقدمونه من فاخر الأثاث والملبوسات المزخرفة والعطور والجواري(3).

المبحث الثاني: ظواهر فنية في شعر وصف قصور ملوك الطوائف

يرصد هذا المبحث أهم الخصائص الفنية التي تميز بها شعر "وصف مظاهر العمران في عصر ملوك الطوائف في الأندلس" وبيان مدى قدرة الشعر على تصوير بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكذلك ما جاء به ذلك الشعر من تلك الإضافات التي تطلبتها تلك الحياة- حينئذ- من حيث الأسلوب والأغراض والظواهر الفنية .

فأول ما يلفت الانتباه في ذلك العصر أن شعر وصف مظاهر العمران عامة وقصور الملوك والأمراء خاصة لم يأت فناً مستقلاً ، ولا قائماً بذاته ، وإنما جاء مندرجاً في ثنايا الأغراض الشعرية الأخرى لاسيما المدح والرثاء وغيرهما من الأغراض اللصيقة بحياة الأمراء والملوك .

وقد لوحظ أن الشعراء جعلوا أكثر مدائحهم مرتبطة بوصف القصور والحدائق والرياض ... ، وقد استغل الشعراء مظاهر الحياة المترفة ، وما أصابه الأمراء والملوك من رفاهة العيش وسعة ذات اليد ، ووفرة الأموال في استدرار إعجابهم.

فقد كان الشعر - آنئذ - مرآة صادقة لحياة القصور وكل ما كان يدور ويجري فيها من مظاهر البذخ والإسراف ، وكذلك كان مصوراً للقصور نفسها بالوصف وإظهار رونقها ، وأثر ضيائها وما تحويه من البرك والنوافير والمجالس والحدائق ... ثم يخلص الشاعر من ذلك كله إلى مدح الخليفة ليجعل من وصف القصور ومحتوياتها سبباً في تنعم الملك ورفاهة العيش ، وراحة باله ، فإذا قال ابن زيدون في المعتمد وقصريه المبارك والثريا :

وتأمل القصر المبارك وجنة ..... قد وسطت فيها الثريا خالا

.....

وإذا قال :

فز بالنجاح وأحرز الإقبالا وحز المنى وتنجز الآمالا

....

أما الثريا فالثريا نصبة وإفادة وأناقة وجمالا[1]

فإنه إنما قال ما قال في وصف القصر "الثريا" أو غيره ليكون كل هذا سبباً في أن يغنم الخليفة الراحة، وأن ينعم باله :

رفه ورودكها لتغنم راحة وأطل مزارتها لتنعم بالا

وكذلك ليتخذ من السرور فراشاً ، وأن يلتحف ظلال النعيم "وهو دعاء للخليفة من الشاعر" :

لازلت تفترش السرور حدائقاً فيه وتلتحف النعيم ظلالاً[1]

هذه الصورة نفسها نجدها عند ابن وهبون حينما وصف قصر المعتمد بن عباد ، وفصّل أوصافه من مثل قوله

فيا أيها القصر المبارك لا تزل وأنت جديد الحلتين قشيب

....

و من مرمر أحذاه رونقه المها فأخطأ فيه اللحظ وهو مصيب

....

إليك أشارت أعين وأنامل وفيك أجيلت ألسن وقلوب[2]

نجد الشاعر يقول مخاطباً الملك "الخليفة" :

ويا أيها الملك المؤيد دم به لينزع كوب أو يثار عكوب[3]

فكأن الشاعر- هنا - قال ما قال في وصف القصر وعدد ما تفرد به من مظاهر جمالية نادرة وزخارف طريفة ونقوش وتماثيل رائعة ؛ ليجعل من كل ذلك وسيلة لمدح الملك والثناء عليه والتنويه بما شيده ؛ وكأن الشاعر يقول : إن هذا القصر لا يستحق هذه الأوصاف وهذه المحاسن إلا لأن الملك يقيم فيه ، ويدعو له بدوام الملك والإقامة به "ويا أيها الملك المؤيد دم به".

على هذه الطريقة نجد الشعراء يفيضون في أوصاف قصور الملوك ودورهم ، وكل ما يتعلق بهم وجعل الشعراء مدح الملوك هو المنطلق الأساس الذي ينطلقون منه ، ومحور الارتكاز الذي يرتكزون عليه ، نجد ذلك أيضاً عند أبي محمد المصري في وصفه القبة المضروبة فوق بركة للمأمون بن عباد حين قال :

شمسية الأنساب بدرية يحار في تشبيهها الخاطر

كأن المأمون بدر الدجى وهي عليه الفلك الدائر[1]

إن المأمون هنا هو قطب الرحى ، وكأن هذه الأشياء ما وصفت ، وما مُدحت إلا لأجله.

تلك الصورة وهذه المعاني هي هي في حال الرثاء ، فإذا كانت القصور موصوفة بالجمال ومحلاة بالوشى والزخارف لأن أربابها يسكنونها ، فإنهم في حال ذهابهم عنها لموت أو تحول لدنيا عنهم أو سقوط في براثن دولة أخرى حاربتهم وانتصرت عليهم ... إلخ ، تتحول هذه القصور وتلك الدور إلى رمز للكآبة وعلامة للمحن ، ومدعاة للتحسر والأسف وسمة لتحول الزمان وتنكره لصاحبه.

فمثلاً : قصر المبارك والثريا والوحيد والزاهي وشينّيل ... كانت تتيه فخراً ، وتشع نوراً ، وتكتظ سروراً وشموخاً حال إقامة الخليفة فيها ؛ نراها تبكي وتأسف وتتحسر وتتألم ، وتضحى أطلالاً ورسوماً بعدما خلت من ساكنيها ، يقول الشاعر:

بكى المبارك في إثر ابن عباد بكى على إثر غزلان وآساد
بكت "ثرياه" لا غمت كواكبها بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى "الوحيد" بكى "الزاهي" وقبته والنهر والتاج كل ذله بادي[2]

فالحزن والأسى والتحسر والألم كلها معان ظهرت جلية في نبرة الشاعر حين رثى القصور في صورة رثاء أصحابها والعكس ، والمعنى ذاته والصورة ذاتها ذكرها ابن اللبانة حين قال:

قصور خلت من ساكنيها فما بها سوى الأدم تمشي حول واقفة الدمى
....
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى بها الوفد جمعاً والخميس عرمرما[3]

فالقصور أصبحت تعج بالغبار بعدما كانت تعج بالسمار ، وأصبحت لا تسمع منها إلا صوت الريح تصفر فيها بعدما كانت تسمع منها صوت القيان والطيور المترنمة ، وقد ظهرت هذه الصورة واضحة جلية حين وضعها الشاعر في صورة الموازنة أو المقارنة بين حال القصور أيام الملك ومصانعة الزمان لصاحبه ، وبين ما آلت إليه حالها بعدما حل بها وبأصحابها من زوال الملك والرياسة وتحول الزمان .

ومن ذلك ما قاله "أبو بكر بن الملح" حين رثى بعض قصور ملوك الطوائف ، وتحسر على ما قضاه مع ملوكها من ليالٍ في أنس ولهو وبهجة ... :

كم قصر أنس لهونا في مطالعه وقد عاد والعهد دان موحش الطلل
....
حتى إذا جئت آمالي تحرف لي خطب دفعت به في عزة الأمل[1]

وكذلك ما قاله ابن الحاج :

يا رب أرض قد خلت قصورها وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها لا يأمل العودة من يطورها[2]

- صورة أخرى نجدها في شعر وصف مظاهر العمران "وصف قصور ملوك الطوائف" وهي أن بعض الشعراء ربما لجأ إلى إلباس الممدوح ووصفه ببعض صفات قصره من القوة والضخامة والرسوخ والهيبة ... إلخ.

فإذا وصف الشاعر القصر بالقوة والعظمة والهيبة والرسوخ فإنما كان الشاعر يمدح في مخيلته صاحب القصر ، ويسقط عليه من صفاته على قصره أو العكس وهو ما سماه "ت-إس-إليوت" في النقد الحديث "المعادل الموضوعي" فكأن الشعراء في هذه الحالة يتوقفون كثيراً عند مناظر القصور ليشبهوا ممدوحيهم بها ، فهم يرون في علو القصور علواً للملك ، كما يرون في حسن القصور وجمالها حسناً للمدوح.

و من ذلك ما قاله ابن وهبون في وصف قصر "الزاهي" لابن عباد:

يحاط بشكله عرضاً وطولاً ولكن لا يحاط به جمالا
....
وقور مثل ركن الطود ثبت ومختال من الأنس اختيالا[3]

فكأن الشاعر يصف صاحب القصر لا القصر ، ويسقط عليه صفاته من رباطة الجأش والرسوخ والعظمة والقوة والمهابة ، هذا المعنى نجده - أيضاً - عن ابن زيدون في قصيدة مدح بها المعتضد بن عباد فقال :

أوأنأ عن صيد الملوك بجانبي فهم العبيد مليكهم عباد
في قصر ملك كالسدير أو الذي ناطت به شرفاتها سنداد
في آل عباد حططت فأعصمت همي بحيث أنافت الأطواد
بيت تود الشهب في أفلاكها لو أنها لبنائه أوتاد
ممدودة بلهى الندى أطنابه مرفوعة بالبيض منه عماد

إنه - كما سبق - ليس وصفاً للقصر ، أو لما يسكنه المعتضد بقدر ما هو مدح للأمير الذي أكسب هذا القصر أو هذا البيت الذي يسكنه تلك القوة والعظمة حتى رجت الشهب وتمنت لو كانت أوتاداً له ، وهو ذو العماد المرفوعة والطنب الممدودة بالكرم.

حقاً إن الشعراء صاغوا وصف تلك القصور في ثوب من المديح ، أو حتى الرثاء "مديح الأموات" ، لقد كان الشعراء يصفون مناظر بعينها كالحديث عن غزارة مياه البرك والنوافير أو الحديث عن جمال القباب وارتفاعها التماساً منهم للحديث عن فضل الممدوح وسمو منزلته ، فمكانته عالية كعلو قصره ، وعطاؤه سخي كسخاء أمواه بركته كقول ابن وهبون في ابن عباد :

وبحر عليه للرياحين فيئة كيمناك مخضر البرود لحوب

فكأن الشعراء بذلك يتحدثون عن نعمة الحياة في ظل حكم الممدوح حيث الرخاء والرفاهية ، وبسطة العيش الذي يعكس الحياة الآمنة المستقرة .

كذلك كان الشعراء لا يجدون بأساً من ذكر مظاهر الأبهة والجمال حتى في مقام الرثاء ، خالعين على تلك المظاهر سمات من التحسر والحزن على ذلك الملك الزائل ، فكأنهم كانوا يحرصون على رثاء القصور والمباني في صورة متكاملة تقوم في مجملها بديلاً عن رثاء الميت ، ورمزاً لمجده في الوقت نفسه.

كذلك من الملحوظ - في شعر وصف مظاهر العمران قصور ملوك الطوائف - أن الشعراء كانوا مفتونين بجمال الحضارة ، معجبين بمباهجها ومظاهرها الخلابة وكانت الطبيعة الحية والمظاهر المصنوعة عاملاً مهما في ذلك المجال ، بل كثيراً ما كانت تحدث بينهما عملية مزج في معترك الوصف والإبداع جميعاً، من ذلك ما قاله الأمير "أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح" في وصف بركته :

كأن انسياب الماء في صفحاتها حسام صيقل المتن سل من الغمد
نفورية فوارة مستديرة لها مقلة زرقاء موصولة السهد
أدرنا بها كأساً كأن حبابها حباب سقيط الطل في ورق الورد(1)

حيث صور الشاعر كيفية انبثاق الماء من النافورة كأنه السيف المصقول ، كما أضفى على الفوارة من صفات الأشخاص فجعلها ذات أعين زرقاء مؤرقة دائمة السهد فهي تدمع أبداً.

وتظهر هذه الصورة واضحة جلية في قول "أبي الحسن بن هارون الشنتمري" :

وحديقة شرقت بغمر نميرها يحكي صفاء الجو صفو غديرها
ُتجري المياهَ بها أسودٌ أحكمت من خالص العقيان في تصويرها
وكأن أسد الشرى في شكلها وكأن وقع الماء صوت زئيرها(2)

في مزج واضح بين مظاهر الطبيعة "الحديقة - الجو - الغدير" والمظاهر المصنوعة "الأسود المصنوعة من العقيان ليخرج الماء من أفواهها " صاغ الشاعر أبياته لينتج لنا صورة فريدة من صفاء الماء وصفاء الجو مع منظر مهيب للأسود التي تصدر زئيراً هو في الحقيقة صوت انصباب الماء من أفواهها في الغدير.

ومن يمعن النظر في نماذج وصف قصور ملوك الطوائف يلمس تمازجاً جلياً بين أوصاف الطبيعتين الحية والمصنوعة ، كما يلحظ أن شعراء وصف القصور قد استمدوا عناصر إبداعهم من جمال الطبيعة الحية التي كانت تمتاز بها بلاد الأندلس ، وكذلك تلك المظاهر المصنوعة التي تدل على حذق الصناع ومهارتهم في إظهار المصنوع كأنه طبيعي يتحرك وينظر ويصغي ، وكأنه يتفاعل مع الطبيعة من حوله ومع الحاضرين أيضا .

يقول أبو الحسن البكري في التماثيل حول بركة الأمير ، والنقوش التي تزين مجلسه :

في صحن ساحته مجلس	شرود اللحاظ به يعقل
كأن تماثيل جدرانه	على من يقابلها تقبل
تبين بفضل الخطاب الفصيح	لديك وإن أخرس المقول
وترنو وما راقها منظر	وتصغي وما رابها أزمل[3]

فجعل الشاعر الأشياء المصنوعة بحذق ومهارة كأنها تقبل على من يقابلها ويجلس بإزائها ، وكأنها تعلمت الخطاب الفصيح من صاحب القصر "الملك" كما أنها ترنو وتنظر بترصد واهتمام وما أعجبها منظر معين ، وتحسن الاستماع مع أنه لا توجد أصوات مختلطة ولا جلبة لكي تتبينها.

إنها براعة الشعراء في رصد هذه الظواهر وبثها في شعر وصف مظاهر العمران في ذلك العصر .

كذلك يلاحظ على "شعر وصف قصور ملوك الطوائف" ميل الشعراء إلى النزعة القصصية ، فالشعراء حينما يعرضون لأوصاف القصور أو الحدائق أو النوافير والبرك إنما يميلون إلى أسلوب القص والحكاية وتصوير المشاهد بدقة، ويظهر ذلك بوضوح إذا كان الشاعر من ندماء الخليفة ، أو ممن يجالسه كثيراً في المجالس التي كان يعقدها الملوك ، ساعتها نرى الشاعر يصف مجلس الأمير بكل ما يدور فيه بأسلوب قصصي ، من ذلك ما قاله الوزير أبو مروان عبدالملك بن إدريس الجزيري كاتب المنصور بن أبي عامر:

للياسمين تطلع في عرشه	مثل المليك عراه زهو مطرق
ونضائد من نرجس وبنفسج	وجنى خيري وورد يعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من	طرب إليك بلا لسان تنطق
وعلى يمينك سوسنات طلعت	زهر الربيع فمن حسنها تشرق
فكأنها هي في اختلاف رقومها	رايات نصرك يوم بأسك تخفق

والأبيات - كما يتضح - تخلصت من مدح الملك إلى التنويه بقصره وبمجلسه وما وجد فيه ، هذه النزعة ظهرت حتى في شعر الرثاء لديهم ، لاسيما إذا تحسر الشاعر على ليالي أنس قضاها بصحبة الملك ، ثم تغيرت الحال وتبدلت ، من ذلك قول أبي بكر بن الملح:

كم قصر أنس لهونا في مطالعه	قد عاد والعهد موحش الطلل
فمن مغن بألحان المنى غرد	وشارب بين طاسات الهوى ثمل
وغافل بالصبا عن قطع مدته	قد راش أجنحة الأيام بالجذل
حتى إذا جئت آمالي تحرف لي	خطب دفعت به في غرة الأمل
لولا الحياء وقد شبت معاركه	لقد كشفت لثام الصبر عن بطل[1]

يتبين مما سبق أن الشعراء اهتموا بوصف الطبيعة والحدائق والقوة والعظمة في القصور كما اهتموا بوصف محتويات هذه القصور كالثريا

المبحث الثالث: إبراز مجالات وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي.

سيتناول هذا المبحث مجالات وصف مظاهر العمران "قصور وملوك الطوائف" في الشعر الأندلسي، ويتمثل ذلك في وصف اللغة - الصورة الخيالية، الموسيقى "خارجية - داخلية" وبيان ذلك كالآتي:

أولا: وصف اللغة - الصورة الخيالية:

- الأسلوب :

الشعر في ذلك العصر صدى البيئة التي يصدر عنها ، ويعيش فيها ، يعبر عما فيها ، ويصور كل مفردات صورها، فبيئة الصحراء تزود الشعر بألفاظ تشبهها في فضائها واتساعها وربما في جفافها ووعورة جبالها وهضابها ، كما تزوده بأسماء مواقعها ونباتها وحيوانها ، والبيئة الحضرية تأتي عكس ذلك فتزود الشعر بألفاظ وصور وأسماء تخضع للمؤثرات الحضارية وربما بما اتصلت به من ثقافات مختلفة .

و القصيدة الشعرية في مجملها تعتمد على الأسلوب الذي يستطيع الشاعر بوساطته إظهار مواهبه وملكته ومدى نجاحه في صياغة الصورة الشعرية .

وقدت تأثرت الألفاظ والمعاني في شعر "وصف مظاهر العمران - قصور ملوك الطوائف" بالحياة المتحضرة المترفة ، وبالثقافة التي شاعت في ذلك العصر، وفي المجمل نرى الشعر في ذلك العصر يتجه نحو السهولة والسلاسة والبساطة والوضوح ، فالألفاظ ملائمة للأسلوب الرشيق الذي يشبه البيئة الأندلسية إلى حد كبير والمعاني - كذلك – ظاهرة مكشوفة ، أبعد ما تكون عن التعقيد والإيهام حتى صار الشعر طريقاً للمطارحات الأدبية ، والإجازات الشعرية القائمة على الارتجال دون اعتمال أو تكلف حتى ليقول المعتمد في مجلس أدبه :

سعد السعود يتيه فوق الزاهي، وفيجيز ابنه الرشيد: وكلاهما في حسنه متناهٍ كما صار الشعر وسيلة للتراسل بين الأمير وشعرائه ، أو بين الأمير ووزرائه - لاسيما أنهم كانوا لا يستوزرون إلا كاتباً أو شاعراً - ولم يظهر في أشعارهم من ألفاظ صعبة أو دخيلة معربة إلا القليل النادر كما في قول الشاعر عن اعتدال جو قصر المعتصم بن صمادح :

تتعاقب الأعصار فيه وجوه أبداً به آذار أو تشرين

فآذار وتشرين أسماء للشهور الفارسية التي أخذ تسميتها عنهم الشعراء العرب، كما استعان الشعراء في أساليبهم بكل ما من شأنه أن يرسم صورة تعبر عن الشعور تعبيراً مؤثراً إلى جانب الصدق الفني والخيال الأدبي الذي يرتبط بالعواطف ارتباطاً وثيقاً ، فالخيال القوي يحتاج إلى عاطفة قوية تعين عليه ، كما أن ضعف أحدهما يؤثر على الآخر. وكان نصيب الشعر الأندلسي في ذلك العصر من هذه الناحية كبيراً نتيجة لبيئة نمّت الخيال البديع في ملكات الشعراء ، حتى قال عنه الرافعي بأنه يتماز "بتجسيم الخيال النحيف ، وإحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحي بها الحضارة ، والتصرف في أرق فنون القول"[(1)].

- الصورة الخيالية :

الخيال هو لب العمل الشعري خاصة والأدبي عامة ، ولا يتصور الشعر بمعزل عنه لأنه عنصر أساسي في بنائه. "إذا كانت الصورة تشكيلاً لغوياً فإن هذا لا يبعدها عن الخيال بل يقربها منه ، ولا يبعدها عن عالم الحس ، بل يجعلها تستمد منه مادة تشكيلها"[(2)].

ومع هذا الرأي يتفق رأي الدكتور / علي البطل الذي ذهب إلى القول : " بأن الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ، يقف العالم المحسوس في مقدمتها ، فأغلب الصور مستمدة من الحواس ، إلى جانب مالا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية ، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية أو يقدمها الشاعر كثيرة في صور حسية "[(3)].

و الخيال جزء لا يتجزأ من البناء الشعري ، لكن الغلو فيه يحوله إلى جري وراء الأوهام التي تتنافى مع قبول العقل وقوانين الحياة ، والشعر ليس سوى العقل الذي يحركه الشعور والانفعال ، ومهما يكن من أمر فإننا لو رجعنا إلى شعر وصف مظاهر العمران - قصور ملوك الطوائف - لوجدنا الخيال فيه خصباً ، على نحو ما نرى في قول ابن السيد البطليوسي :

لم تر عيني مثله ولا ترى أنفس في نفسي وأبهي منظرا
إذا تردى وشيه المصورا من حوك صنعاء وحوك عبقرا
كأنما مج عقيقاً أحمرا أوفت من رياه مسكاً أذفرا
لو أن كسرى رآه وقيصرا هلل إكباراً له وكبرا[1]

وقول ابن حمديس :

قصر لو أنك قد كحلت بنوره. أعمى لعاد إلى المقام بصيراً
أعيت مصانعه على الفرس الألى رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا لملوكهم شبهاً له ونظيراً[2]

ففي الأبيات السابقة نرى الشاعرين كأنما يعقدان مقارنة بين الماضي والحاضر ، حيث انطلق بهم الخيال إلى مجد الفرس ، وما كانت عليه دولتهم من العظمة والهيبة في الأبنية وكذلك الروم من المعابد العظيمة والمدرجات الواسعة والقصور والأواوين ، ثم راحوا يصفون ما صاروا إليه "الفرس والروم" من الزوال ، ومع ما كان لهم من مظاهر التحضر والتمدن إلا أنهم لم يصلوا "على حد قول الشاعرين" إلى تلك المرحلة التي وصل إليها خلفاء وأمراء الطوائف في الأندلس من التفنّن في بناء قصورهم ودورهم وما تحويه من برك ونوافير ومجالس وحدائق ... حيث يقول : "أعيت مصانعه على الفرس – ومضت على الدهور ما بنوا شبيها له ولا نظيراً"

من ذلك أيضاً ما وصف به ابن الحداد قصر المعتصم بن صمادح :

تتعاقب الأعصار فيه وجوه أبداً به آذار أو تشرين
أو لو بدا للروم معجز صنعه أبدى السجود إليه قسطنطين
قصر تبينت القصور قصورها عنه وفضل الأفضلين يبين

إن قسطنطين "عظيم الروم" لا يملك إلا أن يسجد أمام عظمة هذا القصر المعجز بناؤه ، العجيب صنعه ، ذلك القصر الذي يتضاءل أي قصر بجانبه إذا قورن به ، أو قيس بعظمته ، لذا علمت القصور وأيقنت أنها قاصرة عاجزة عن أن تدرك وتصل مكانته ، كليلة أن تقاس به لما اجتمع فيه من موجبات العظمة والعجب والدهشة .

كأن "هرمس "بث حكمته به و أدار فيه الفكر "أفلاطون"
وكأن راسم خطه "إقليدس" فموائل الأشكال فيه فنون

إنه قصر يجمع بين حناياه وأروقته حكمة "هرمس" وفلسفة وفكر "أفلاطون" ، وهندسة "إقليدس "، لذا حق له أن يتيه على القصور ويفخر ، وأجدر أن يسجد له "قسطنطين" .

وتجدر الإشارة إلى أن معظم الشعراء الأندلسيين - لاسيما شعراء وصف مظاهر العمران "وصف القصور " - قد اعتمدوا التشبيه لتصوير ما يصفونه من مناظر طبيعية أو مصنوعة ، وكيف لا فالتشبيه هو المظهر العلمي لاكتشاف العلاقات الكامنة بين الأشياء ، هذه الصورة التشبيهية - وبخاصة حين يضفي عليها الشاعر روحاً حيوية تشكل اتحاداً بين اللغة والصورة الفنية - تحيل النص الشعري إلى لوحة جمالية مشرقة ناطقة كاشفة عن نفسية الشاعر ، وآسرة للمتلقي برونقها وإشراقها .

ومن الصور المعتمدة على التشبيه ما نجده لدى ابن زيدون حين قال :

وتأمل القصر المبارك وجنة قد وسطت فيها الثريا خالا[1]

فقد شبه الشاعر قصر "المبارك" بالوجنة "الخد" وشبه قصر الثريا بالخال "الشامة" الذي توسط هذا الخد، ثم وشح الصورة وقواها بأن جعل الثريا في وسط المبارك كالشامة وسط الخد إشارة منه إلى حجم الثاني من الأول، وكذلك ربما رمى الشاعر إلى لون كلا القصرين.

كذلك قول ابن وهبون في وصف قصر "الزاهي" :

وقور مثل ركن الطود ثبت ومختال من الأنس اختيالا[2]

إذ شبه الشاعر القصر في قوته وهيبته وثباته وضخامته بالطود "الجبل" ، ولكي لا ترتسم في ذهن المتلقي صورة الجبل الجامدة المكونة من الحجارة والصخور الصماء ؛ حول الشاعر الصورة إلى شيء غاية في الروعة والجمال وذلك حين شخّصه بحيث جعل القصر - لشدة جماله وكثرة ما به من السمر والأنس - يختال ويزهو ؛ ليس هذا فقط بل جعل قبته كأنها السماء التي ارتسمت صورتها على صفحة الماء فصارت كأن بها الآكام والتلال فقال :

سماء ترتمي بعباب بحر كأن بها إكاماً أو تلالاً

ومن الصور التشبيهية - أيضاً - ما خص به ابن الحداد قصر ابن صمادح حين قال في وصفه :

هو جنة الدنيا تبوأ نزلها ملك تملكه التقى والدين

وكأن بانيه سنمار فما يعدوه تحسين ولا تحصين[1]

حيث شبه الشاعر القصر بالجنة "جنة الدنيا" ، وجعل الأمير حري أن يدخلها لما اتصف به من التقى والدين ، ولما كان القصر لا ينقصه شيء من مظاهر الحسن والجمال ، ولا مظاهر القوة والمنعة صار كأن "سنمار" هو من بناه لما كان يتصف به من المهارة والحذق في فنون العمارة.

وكما جاءت الصورة التشبيهية في وصف القصور ؛ كذلك جاءت في وصف مشتملات القصور كقول أبي يحيى بن صمادح في وصف بركته التي أنشأها :

كأن انسياب الماء في صفحاتها حسام صيقل المتن سل من الغمد

أدرنا بها كأساً كأن حبابها حبابُ سقيط الطل في ورق الورد[2]

حيث شبه انبثاق الماء من النافورة بالسيف المصقول المجرد من غمده ، وشبه ما يعلو كأس الشراب من الحباب "الزبد المتموج" كالذي يسقط من قطرات الطل الصغيرة على أوراق الورد في بداية الصباح ، وخص الشاعر الورد إشارة إلى لون الشراب ، وإلا لقال ما يسقط على أي نبات أو ورق الشجر.

كذلك صور الكندي حالة من العشق والتناغم بين صهريج امتلأ بالماء وبين أغصان الروض التي تتمايل عليه في صورة تشبيهية جميلة إذ جعل من قرب الأغصان على الصهريج كأن بينهما حالة من الحب والعشق والتدلل فقال:

وصهريج تخال به لجينا يذاب وقد يذهبه الأصيل

كأن الروض يعشقه فمنه على أرجائه ظل ظليل[3]

وكما لم تغب الصورة الشبهية عن وصف القصور ومشتملاتها ؛ كذلك لم تغب حتى في أقسى الحالات والمواقف على النفس وهو الحزن أو رثاء عزيز ، وذلك حين نرى ابن الحاج وهو يرثي المعتصم بن صمادح يشبه الدنيا في بكائها إياه وحزنها وأسفها عليه بالأم الثكلى التي فقدت ابنها فهي تنتحب عليه فقال :

تنتحب الدنيا على ابن معن كأنها الثكلى أصيبت بابن

إذ جعل ما تصدره أجواء الدنيا من أصوات الرعد ، وسحوح الأمطار وهطولها كأنما الدنيا تنتحب وتبكي فراقه كما تبكي الأم وليدها وابنها إذا فقدته.

وأختم الصور التشبيهية بتلك الصورة الجميلة من التشبيه المركب ، وذلك حين شبه الشاعر أزهار الياسمين البيضاء بالكواكب البيضاء اللامعة وشبه ما يكون في أطراف الياسمين الأبيض من الطرق الحمر على جوانبه بما يحدث من أثر للخد الأبيض للعذراء إذا أصابه عض من الاحمرار والتوهج فقال:

كأنما ياسميننا الغضُّ كواكب في السما تبيَّضُ
والطرق الحمر في جوانبه كخدِ عذراءَ مسَّها عضُّ[1]

وهكذا نرى أن الصورة الفنية ومنها التشبيه ليست "شيئاً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه أو حذفه وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق ... وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية ويصبح نجاح الصورة أو فشلها في القصيدة مرتبطاً بتآزرها الكامل مع غيرها من العناصر ، بوصفها وصلاً لخبرة جديدة بالنسبة للشاعر الذي يدرك والقارئ الذي يلتقي ..."[2]

وفي المطلق وعلى العموم فإن التشبيه هو أصل من أصول الصورة الفنية ، وهو جوهر العمل الشعري، فضلاً عن أنه يتسم بالإيجاز والوضوح وتمكين الصورة في ذهن المتلقي ، "وإذا جاء التشبيه في أعقاب المعاني أكسبها جمالاً وزادها كمالاً وضاعف قواها في تحريك النفس إلى المقصود بها على اختلاف فنونها ، فهو يعين على نقل الصورة وتكوين اللوحة الفنية الكاملة ... ويقربنا من الإفهام مالا تقربه الحقيقة من المعاني والتخيلات البديعية ..."[3]

لكن هذا لا يعني أن التشبيه هو الوسيلة الفنية الوحيدة أو الصورة الخيالية المفردة التي استخدمها شعراء وصف القصور - إن صح التعبير - لتصوير الموصوفات ؛ بل توسلوا "أخذوا وسيلة" أيضاً بالاستعارات على نحو ما نرى عند ابن اللبانة حين رثى المعتمد بن عباد وملكه فقال :

تبكي السماء بمزن رائح غادي على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتاد
وكعبة كانت الآمال تعمرها فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

إذ جعل الشاعر السماء تبكي "استعارة" وجعل الممدوحين "الموتى" جبالاً هدت قواعدها بالموت ، كما جعل من قصورهم كعبة خلت من العاكف والباد لمّا خلت "القصور" من السمار والندامى فضلاً عن خلوها من أصحابها.

وبهذا يتضح أن شعر "وصف مظاهر العمران - قصور ملوك الطوائف" يفيض بالصور البلاغية والفنية والخيالية من مثل التشبيه والاستعارة وأن ما جاء هنا "في هذا المبحث" إنما هو على سبيل المثال لا الحصر ، لبيان ما اتخذه بعض الشعراء من وسائل التجسيم أو التشخيص وبث الحركة في الصورة الفنية لتكون أقرب إلى الإفهام وأوقع في النفس.

ثانيا: الموسيقى "خارجية - داخلية"

- الموسيقى الخارجية:

عنصر من عناصر الشعر ، بل أهم عناصره ، إذ هي الفارقة بينه وبين النثر "سائر الفنون الكلامية الأخرى".

والموسيقى بعنصريها "الوزن والقافية" قد احتلت نصف مفهوم الشعر الذي حدده "قدامة بن جعفر" حين عرف الشعر بأنه : "قول موزون مقفى يدل على معنى"[1] وهذا العنصران "الوزن والقافية" من ألزم العناصر للغة الشعرية ، ومن أدق مقاييسها النقدية[2] ولذلك يعدان عماد الموسيقى الخارجية في الشعر.

ولما كانت الموسيقى من أهم الأسس الفنية التي تقوم عليها القصيدة ؛ فقد عرفها الدكتور / محمد غنيمي هلال بأنها : " وحدة النغم التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت ، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام ، أو في أبيات القصيدة "[3]

والموسيقى الخارجية يقصد بها : " ذلك التوازي الصوتي الناشئ من نظام الوزن العروضي متمثلاً في الوحدات المتماثلة لزمن السلسلة المنطوقة ، إلى جانب أنظمة التقفية المطردة أو التي يخضع إطرادها لتنوع منتظم ،

فمستوى الإيقاع الخارجي يشمل مستويين إيقاعيين هما : الأوزان والقوافي اللذان يشكلان قاعدتين عامتين يلتزمهما جميع الشعراء في بناء النص الشعري"[4].

والوزن الشعري هو الركن الأول من أركان الموسيقى الخارجية وهو " أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ، لأنه التوقيع المنتظم الذي نلمسه في كلمات البيت من حيث تماثل الحركات وتكرار أجزاء البيت الواحد أولاً ، ثم كل أبيات القصيدة ثانياً."[5]

وقد التزم شعراء "وصف مظاهر العمران ، أو وصف قصور ملوك الطوائف" في شعرهم البحور الخليلية المعروفة ، ولم يشذ عن ذلك أي منهم - اللهم إلا شاعر واحد كما ورد في مخمسة ابن الحداد وإن كانت موزونة ومقفاة - أيضاً - بيد أنها جاءت على غير نظام القصيدة العمودية المعروفة.

وبالنسبة لاستخدام الوزن عند شعراء وصف القصور فإنه لا يخرج - في الغالب - عن هذا الإطار الذي يعطيه كامل فاعليته في صلب اللغة الشعرية ، ويتجلى ذلك ويظهر في تنوع البحور الشعرية المستخدمة التي تخضع تفاعيلها في غالب الأحيان للون من التناسل الداخلي - إن صح التعبير - نتيجة الجوازات التي تفرضها التجربة الشعرية .

ومن خلال استقراء واستعراض النتاج الشعري لشعراء وصف مظاهر العمران "قصور ملوك الطوائف" تبين أنهم لم يقيدوا أنفسهم ببحور معينة ، بل تركوا ذلك لما تمليه عليهم تجاربهم الشعرية ومواهبهم الفطرية .

فمثلاً : جاء بحر "الوافر" في قول ابن وهبون :

وللزاهي الجمال سناً وحسناً — كما وسع الجلالة والكمالا
يحاط بشكله عرضاً وطولاً — ولكن لا يحاط به جمالا
تواصلت المحاسن منه شتى — فوفد اللحظ ينتقل انتقالا
وقور مثل ركن الطود ثبت — ومختال من الحسن اختيالا

وبحر الوافر من ألين بحور الشعر وزناً وأكثرها مرونة ، وأجزاؤه هي :

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن — مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

ويصلح هذا البحر كثيراً للوصف والفخر والحماسة والرثاء ، لذا جاء استعماله كثيراً عند شعراء الوصف كما هو الحال هنا ، ومنه أيضاً قول ابن وهبون :

وللبهو البهي سماء نور — تمثل شكلها حلقاً دخالا
مزخرفة كأن الوشى ألقى — عليها من طرائقه خيالا

كما جاء بحر "الطويل" في قول ابن حمديس :

ويا حبذا دار يد الله مسحت — عليها بتجديد البقاء فما تبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه — مشى قدماً في أرضها خلع النعلا

وقول أبي بكر بن الملح:

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا — هوى لكؤوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية — يحركها بالليل لمع الحباحب

وقول ابن اللبانة في رثاء المعتمد بن عباد:

قصور خلت من ساكنيها فما بها — سوى الأدم تمشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى وطالما — أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى — بها الوفد جمعاً والخميس عرمرما

وبحر الطويل كثير الورود في الشعر العربي القديم يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " ليس بين بحور الشعر ما يضارع بحر الطويل في نسبة شيوعه فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا اللون ... وأن القدماء كانوا يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم ولا سيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن"[1]

وأجزاء بحر الطويل هي :

فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعيلن فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعيلن

كما جاء "الكامل" في قول ابن زيدون:

وتمثل القصر المبارك وجنة قد وسطت فيها الثريا خالا
قصر يقر العين منه مصنع بهج الجوانب لو مشى لاختالا
لازلت تفترش السرور حدائقاً فيه وتلتحف النعيم ظلالا

ومنه قول الجزار السرقسطي[2]:

وكفاك تشريفاً وفخراً أن ترى بالجعفري مؤهلا لبناء[3]
قصر غدا فيه السرور معرساً يغشى العيون بساطع لألاء

وكقول أبي محمد المصري :

قصر يقصر عن مداه الفرقد عذبت مصادره وطاب المورد
نشر الصباح عليه ثوب مكارم فعليه ألوية السعادة تعقد

وبحر الكامل من البحور التي ظلت موفورة الحظ يطرقها الشعراء في كل العصور ، ويكثرون النظم منها ، وهو من البحور ذات التفعيلات الطويلة ، وأجزاؤه هي :

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن

ويعد الكامل من بحور الحركة والجلبة ، ويصلح للقصائد الجادة واللينة على حد سواء[1].وكما جاء بحر الوافر ، والطويل ، والكامل ، كذلك جاء بحر البسيط في قول ابن الملح:

كم قصر أنس لهونا في مطالعه قد عاد والعهد دان موحش الطلل
فمن مغن بألحان المنى غرد وشارب بين طاسات الهوى ثمل

وقول ابن اللبانة :

تبكي السماء بمزن رائح غادي على الهاليل من أبناء عباد
كانوا ملوكا ملوك الأرض فانصرفوا ومالهم حرمة فيها ولا ناد
تبدلوا السجن بعد القصر منزلة وأحدقوا بلصوص عوض أجناد

وكقول المعتمد يرثى حاله وزوال ملكه وتحسره على قصوره :

بكى المبارك في إثر ابن عباد بكى على إثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لا غمت كواكبها بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته والنهر والتاج كلٌ ذله بادي

والبسيط بحر كثير الاستعمال كالطويل ، وهو قادر على استيعاب الأغراض والمعاني المختلفة وأجزاؤه هي :

مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / مستفعلن / فاعلن / مستفعلن /

وجاءت بحور كثيرة أخرى في شعر وصف مظاهر العمران في العصر الأندلسي ، كالرجز ، والسريع والخفيف وغيرها وإنما ذكرت ما ذكرت على سبيل المثال لا الحصر لأثبت أن الشعراء في وصفهم لقصور الملوك لم يسلكوا طريق الأزجال أو التوشيح مثلاً لا من قريب ولا من بعيد، وإنما داروا في فلك الشعراء القدامى من الاتيان بالقصيدة العمودية ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة ، ولم يخرج عن ذلك إلا ابن الحاج - كما ذكرت - والتي يقول فيها :

هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن كأنها ثكلي أصيبت بابن

أكرم مأمول ولا استثني أثنى بنعماه ولا أثنّى

والروض لا ينكر معروف المطر والمخمسة جاءت موزونة مقفاة أيضاً وهي من بحر الرجز وأجزاؤه :

مستفعلن/ مستفعلن/ مستفعلن مستفعلن/ مستفعلن/ مستفعلن

وبذلك نرى أن الشعراء قد نوعوا - بدون قصد - في استعمالهم للبحور العروضية الشائعة الاستعمال التي تتصف جميعها بصلاحيتها لاستيعاب أغلب المعاني والأغراض.

- **أما عن القافية** ، التي هي قرينة الوزن وشريكته في الشعر العربي ؛ فباستقراء شعر وصف ورثاء القصور في عصر ملوك الطوائف وجدت الشعراء ينوعون في حروف الروى في قصائدهم - وإن جاءت بعض القصائد متفقة الروى لشعراء مختلفين - وجاءت قصائدهم على ما يقرب من نصف الحروف الهجائية في حروف الروى.

وجاءت جميعها مما يسمى القوافي الذلل والتي منها :

الباء – التاء – الدال – الراء – العين – الميم – اللام ... إلخ.

وابتعدت عن القوافي النفر والحوشية التي منها :

الصاد – الزاي – الضاد – الطاء – الثاء – الخاء – الشين ... إلخ.

كذلك جاءت قوافيهم - في الغالب - من القوافي المطلقة ، وهي التي يكون فيها الروى متحركاً ، حيث يلتزم الشعراء بحركته ويراعونها مراعاة تامة ولا يحيدون عنها .

ولم يأت في أشعارهم من القوافي المقيدة : وهي التي يكون فيها الروى ساكناً إلا القليل جداً كمخمسة ابن الحاج سابقة الذكر.

ثالثا : الموسيقى الداخلية:

وهي وحدة النص الموسيقية والصوتية من خلال النغم الإيقاعي الذي تحدثه الألفاظ ، وهي موسيقى، وهي التي تؤلف مع الموسيقى الخارجية " خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته ، وما بينهما من تلاؤم في الحروف والحركات ، وكأن للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة ، تسمع كل شكله وكل حرف وحركة بوضوح تام "[1]

فالإيقاعات الداخلية التي تتولد بفضل انسجام الحروف والكلمات والجمل والعبارات تؤثر في الموسيقى الشعرية بدرجة كبيرة " والعناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع ومجئ هذا النوع من الشعر يزيد من موسيقاه "[2]

وقد تنوعت الموسيقى الداخلية عند شعراء وصف قصور ملوك الطوائف عن طريق توفير عدد من عناصرها ومنها :

1. **الجناس :** وإليه يلجأ الشعراء لخلق نوع من الانسجام بين الألفاظ من خلال إثارة هذه الألفاظ للتناغم الموسيقي والتماثل في الصورة ، وهو نوعان : تام "مماثل" وناقص ، فالتام : "أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما ولا يختلفان إلا من جهة المعنى"[3] ، والناقص ما اختلف فيه "اللفظان في الهيئة دون الصورة"[4]. وقد بدا الجناس واضحاً في شعر وصف مظاهر العمران كما في قول ابن الحداد :

قصر تبينت القصور قصورها عنه وفضل الأفضلين يبين

فجانس الشاعر بين "القصور - قصور " والأولى جمع قصر وهو المبنى المعروف ، والثانية بمعنى الضعف والضآلة وعدم اللحاق بما فوقها.

ومنه قول ابن زيدون :

فز بالنجاح وأحرز الإقبالا وحز المنى وتنجز الآمالا

وهو في لفظتي "فز" من الفوز وهو أمر بمعنى الدعاء ، و"حز" من الاستحواذ بمعنى الوصول والإدراك وهو أيضاً أمر بمعنى الدعاء.

ومنه أيضاً قول أبي الحسن البكري :

أقرن الغزالة أم معقل يكاد الجماد به يعقل

وهو بين "معقل" أي حصن ، وبين "يعقل" بمعنى يدرك ويعرف.

ويظهر مما ذكر أن الشعراء ربما استعانوا بالجناس كوسيلة فنية جميلة تشعر المتلقي بحلاوة الألفاظ بما تفيض به من جرس موسيقى أخاذ.

2. **التصريع** : وهو صورة من صور التكرار النغمي يلجأ إليه الشاعر في بداية كلامه لجذب الأسماع، وهو استواء آخر جزء في صدر البيت "الشطر الأول" مع عجزه "نهاية الشطر الثاني".

ومن أمثلة التصريع في الشعر محل الدراسة ما قاله أبو محمد المصري :

ألا حيّ أوطاني بشلب أبا بكر وسلهن هل عهد الوصال كما أدري

فـ"بكر – وأدري" وهما العروض والضرب اتفقتا في الوزن والروى بما يثير انتباه السامع إلى باقي الأبيات.

ومنه قول ابن السيد البطليوسي :

لم تر عيني مثله ولا ترى أنفس في نفسي وأبهى منظرا
إذا تردى وشيه المصورا من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الإبريق حين قرقرا قد أمَّ لثم الكأس حين فغرا

والأبيات - كما نرى - كلها مصرعة. ومنه كذلك قول ابن وهبون :

أربع الندى تهمي به وتصوب ومغني العلا نأوي له ونثوب

ومنه قول أبي الحسن بن هارون الشنتمري :

وحديقة شرقت بغمر نميرها يحكي صفاءَ الجو صفوُ غديرها

وقول ابن اللبانة :

لكل شيء من الأشياء ميقات وللمُنى من منايهن غايات

وقول أبي بكر بن عبدالصمد :

ملك الملوك أسامع فأنادي أم قد عدتك عن السماع عوادي

والتصريع يشكل ظاهرة بارزة في شعر وصف القصور في ذلك العصر ، لما له من أثر في إغناء عناصر الموسيقى برافد ثرّ ، يدفع المتلقي إلى تتبع باقي أبيات القصيدة .

3. **حسن التقسيم :** وفيه تظهر الكلمات على هيئة وحدات لفظية وموسيقية لها أثرها على أذن المتلقي ، وحسن التقسيم يعطي البيت الشعري جرساً موسيقياً ، خاصة إذا اتفقت هذه الكلمات "الوحدات الموسيقية" في نهايتها ، فتصير كأنها الفاصلة السجعية في النثر.

وقد جاء حسن التقسيم في شعر ابن عمار حين قال :

كل قصر بعد الدمشق يذم فيه طاب الجنى وفاح المشمّ

منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم

فتساوى العبارات في اللفظ والإيقاع الصوتي في قوله "منظر رائق - ماء نمير - ثرى عاطر - قصر أشم" أعطى البيت موسيقى زائدة فوق موسيقى الوزن والقافية والتصريع في البيت الأول.

ومنه قول ابن زيدون :

أما الثريا فالثريا نسبة وإفادةٌ وأناقةٌ وجمالا

فجاءت "نسبة - إفادة - أناقة - جمال " لتحدث إيقاعاً موسيقياً نتج عنه تقسيم داخلي للبيت ، وساعد على ذلك تكرار حرف العطف "الواو".

وتجدر الإشارة إلى وجود ألوان أخرى من شأنها إحداث هذه الموسيقى الداخلية في الأبيات وذلك كمراعاة النظير في قول ابن زيدون :

لازلت تفترش السرور حدائقاً فيه وتلتحف النعيم ظلالا

فجاء الشاعر بـ "تفترش وتلتحف" لأنهما من واد واحد، كذلك في قول ابن وهبون :

فما أبقى شهابا لم يصوب ولا شمساً تنير ولا هلالا

فجاء بـ "الشهاب والشمس والهلال" لأنها كلها من باب واحد، كذلك قول ابن عمار عن قصر الدمشق :

بتُّ فيه والليل والفجر عندي عنبرٌ أشهبٌ ومسكٌ أحم

ومن الألوان التي تحدث الموسيقى أيضاً، التكرار ، وذلك كما في قول الشاعر:

قصرٌ تبيَّنت القصورُ قصورَها عنه وفضل الأفضلين يَبينُ

فجاءت "قصر وقصور وقصورها وفضل والأفضلين" ليحدث تكرار للحروف ، ثم الكلمات والتراكيب ، ومن ثم تقرير للمعنى المراد وتثبيته في ذهن السامع، وهكذا تكثر الألوان التي تزيد الموسيقى الداخلية وتجعل منها رافداً مقوياً ومؤكداً للموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية.

الخاتمة:

الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وله الحمد على إتمام هذا الجهد المتواضع؛ فقد كان هدف إجراء هذا البحث التعرف على مثول صورة القصر ووصف مظاهر العمران في الشعر الأندلسي، وطبيعة الحياة الشعرية في عصر ملوك الطوائف، ورثاء القصور "عقب سقوط الدويلات، ثم أثر القصور في الحياة الأدبية، وفي الختام يمكن القول بأن هذه الدراسة لا تعدو أن تكون لبنة في صرح وصف مفردات الحضارة في كل عصر ومصر كما لا تزال هناك فرصة للباحثين في التنقيب عما ضاع من أشعار قيلت في حضارة الإسلام في تلك البلاد "الأندلس " نظراً لكثرة الحروب التي دارت بين ملوك الطوائف أنفسهم، أو بينهم وبين النصارى البرتغال، فقد كان الشعر -

كعادته - في تلك الحقبة يسجل كل ما يدور في تلك البلاد، وعلى كافة الأصعدة، وبعد تحقيق هدف البحث يختم الباحث بعرض ملخص نتائج البحث، ثم التوصيات التي يوصي بها، وبيان ذلك كالتالي:

أولا: عرض ملخص النتائج: كشف البحث في اطاره العام عن النتائج التالية:

- أن بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس اندلعت الحروب الأهلية بسبب النزاعات العرقية والطائفية بين العرب والبربر التي أسهمت في تصدع وحدة الأندلس، فنتج عن ذلك قيام دول متعددة في الأندلس عرفت بدول الطوائف، بدأ عصر ملوك الطوائف (422-487هـ ، 1029-1092م) بالأندلس ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة، وأصبحت تسمية "دول الطوائف" واضحة المدلول في وصف حال البلاد الذي توزعته عدة ممالك، وتوزع هذه الدويلات كان تبعاً للعوائل التي حكمتها وانتمائها العرقي إلى فئات ثلاث : العرب ، البربر ، الموالي.
- وكان عصر الطوائف يتّسم بالتفكك الاجتماعي والضعف السياسي إلا أنه كان عصر زهو حضاري ورقي ثقافي، وقد هيأ الجو مكانا مناسبا للأدباء والشعراء ونشطت حركة الأدب كثيراً، وأسهم الأندلسيون في إثراء التراث العربي المشترك بآثار من طراز رفيع برهنت تلك الآثار على أن عصر ملوك الطوائف كان أبرز عصور ازدهار الأدب والفكر في الأندلس ، فقد ازدهر الأدب العربي في هذا العصر - ملوك الطوائف - ازدهاراً لم يكن له نظير في العصور التي سبقته.
- لم يحظ شعر وصف مظاهر العمران في العصر الأندلسي – قصور ملوك الطوائف بدراسة مستقلة قبل هذه الدراسة، وأن كل ما جاء إلينا من أشعار تخص هذا الموضوع كانت تتمة لموضوع أو غرض الوصف في ذلك العصر ، كما جاء شعر وصف مظاهر العمران ووصف القصور مفرزا من مفرزات الحضارة والتطور وصخب الحياة في تلك القصور "قصور ملوك الطوائف".
- إن شعر وصف قصور ملوك الطوائف، أو وصف القصور عموماً يعد غرضاً جديداً إلا أن بذوره وجدت في العصر الأموي، وشاع ونضج وتألق مع الحضارة التي انتقلت إليها الدولة في عصر العباسيين نتيجة ولع الحكام بتشييد القصور في الشرق، وفي الوقت نفسه كانت دولة الأندلس في الغرب تنظر إلى الشرق بعين المقلد الآخذ بكل ما يدور فيه باعتباره موطن الدين والجنس واللغة، فشاع هذا الغرض في البيئة الأندلسية نتيجة التنافس بين الحكام في هذا المجال، وتشجيعهم للشعراء على تخليد قصورهم في شعرهم، كذلك جاء هذا الشعر "وصف مظاهر العمران ووصف القصور" نتيجة الأساليب الحضارية التي فرضتها بلاد الأندلس ، فلم يكتف الشعراء بوصف المظاهر الطبيعية بل امتد شعرهم ليشمل وصف مظاهر الحياة الصناعية "المصنوعة" التي أبدعها أرباب الصناعة والتي تمثلت في بناء القصور الفخمة، ذات الارتفاع الشاهق والزخارف التي تصل في كثرتها إلى حد التعقيد من أجل تحقيق أعلى درجة من الأبهة والجمال .
- امتزج شعر وصف مظاهر العمران أو وصف القصور بالأغراض الشعرية التقليدية ، مع تفاوت نسبة حضوره فيها، كما مثل شعر وصف القصور سجلاً توثيقيا للأدب في ذلك العصر وكذلك لبعض الأحداث التاريخية .
- جاءت أشعار وصف القصور متبعة لنهج القصيدة التقليدية من حيث الإطار العام من البدء بالمقدمة التمهيدية للغرض الشعري، ثم الحديث عن موضوع القصيدة وصولاً إلى الخاتمة ، كذلك جاءت محافظة على الأوزان الخليلية والقوافي، ولم تخرج عن هذا الإطار ، كما أكثر شعراء وصف القصور من استخدام الصور التي تبث الحياة في المصورات كالصور الحسية والألوان بما يوحي بالحيوية والحركة فيها.
- أن لموسيقي الشعري والبحور الشعرية أثرا في الأبنية العربية ومعانيها، من البحور ما هو عنيف كالكامل، ومنها ما هو عذب كالرمل، ومنها ما هو بين بين كالخفيف.

ثانيا: عرض توصيات البحث وتتخلص في الآتي:

1. دراسة الشعر والأدب بالطريقة الكلية، فينظر للقصيدة على أنها وحدة متكاملة مترابطة ببحرها وموسيقاها وصفات تلك الموسيقى، وتراعي فيه ألفاظ القصيدة ومعانيها والغرض منها ومناسبتها وأسلوب الشاعر ونفسيته وانفعالاته، على أن يتم كل ذلك داخل منظومة مترابطة متناسقة تجمعها علاقات من الترابط والتناسب.
2. دراسة مظاهر العمران في الشعر الأندلسي من الناحية الثقافية والاقتصادية بحيث يكون جزءاً لا يتجزأ من الهيكل الثقافي والاقتصادي والعمراني.
3. سن أنظمة وتشريعات واضحة لتسجيل مواقع التراث العمراني ، وتضمن الحفاظ على هوية العمارة الإسلامية سواء كانت تراثية أو معاصرة ضمن رؤية مستقبلية، والعمل على تبادل الخبرات والتجارب الناجحة بين الدول الإسلامية في مجال الحفاظ على التراث العمراني.
4. دعم الجمعيات المحلية للمساهمة في التنمية، ودعم المؤسسات التعليمية في مجال الدراسات العمرانية ودعم المبادرات الرامية إلى المحافظة على التراث العمراني.

الهوامش

(1) تاريخ الأدب الأندلسي – محمد زكريا عناني ، صـ 10 ، ط دار المعرفة الجامعية عام 1999م.

(1) ديوان ابن زيدون صـ 520.

(1) السابق صـ 521.

(2) الذخيرة ق2 / م1 / 517.

(3) السابق ق2 / م1/ 517.

(1) الذخيرة ق4/ م1 / 355.

(2) نفح الطيب 54/6.

(3) الذخيرة ق2 / م1/ صـ 78.

(1) الذخيرة ق2 / م1/ 461.

(2) خريدة القصر 141/2.

(3) الذخيرة ق2/م1/508.

(1) خريدة القصر ق4 ، جـ 1 ، صـ 171.

(2) الذخيرة 2/ 2/ 683.

(3) الذخيرة 571/2/2.

(1) نفح الطيب 71/2.

(1) الذخيرة 461/1/2.

(1) تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي 311/3 ، مطبعة الاستقامة – مصر 1954م.

(2) الصورة الفنية في شعر ذي الرمة ، صـ 9 ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة 1987م.

(3) الصورة في الشعر العربي صـ 3 ط 2 ، دار الأندلس – بيروت 1983م.

(1) نفح الطيب 650/1.

(2) ديوان ابن حمديس صـ 545.

(1) ديوان ابن زيدون صـ 521.

(2) الذخيرة ق2 / م1/ صـ 508.

(1) ديوان ابن الحداد صـ 270.

(2) خريدة القصر ق4 جـ 1 صـ 171.

(3) نفح الطيب 45/5.

(1) الذخيرة ق2 م1 صـ 29 وما بعدها.

(2) الصورة الفنية – جابر عصفور ، صـ 383 ، ط دار الثقافة ، القاهرة 1974م.

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ابن رشيق القيرواني ، جـ 2 ، صـ 115 ، ط دار الجيل – بيروت ، بتصرف .

(1) نقد الشعر – قدامة بن جعفر صـ 17 تحقيق كمال مصطفى ، ط3 مكتبة الخانجي – القاهرة 1978م.

(2) أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب صـ 75 ، بتصرف ط 9 مكتبة النهضة المصرية – 1985م.

(3) النقد الأدبي الحديث صـ 435 ، ط 6 ، دار نهضة مصر – القاهرة 2005.

(4) شعر غازي القصيبي – دراسة فنية – محمد سالم الصفراني ، صـ 373 ، ط1 مؤسسة اليامة – الرياض 1423هـ

(5) أوزان الشعر العربي – السيد مرسي أبو ذكري ، صـ 103 ط دار المعارف – القاهرة 2002م.

(1) موسيقى الشعر صـ 189 ، ط 2 مكتبة الأنجلو المصرية 1952م.

(2) هو أبو بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي يلقب بالجزار نسبة إلى مهنته الجزارة ، وهو من شعراء المائة الخامسة من الهجرة ، ينظر في ترجمته الذخيرة ق6/ م3 صـ 684.

(3) الجعفري : أحد قصور المتوكل.

(1) موسيقى الشعر – إبراهيم أنيس صـ 190 بتصرف .

(1) في النقد الأدبي – شوقي ضيف صـ 97 ، ط 9 دار المعارف .

(2) موسيقى الشعر – إبراهيم أنيس صـ 45.

(3) فنون بلاغية – أحمد مطلوب صـ 224 ط 1 ، دار البحوث العلمية – مصر 1975م.

(4) السابق صـ 225.

المراجع

- أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب – ط 9 مكتبة النهضة المصرية – 1985م.
- أوزان الشعر العربي – السيد مرسي أبو ذكري – ط دار المعارف – القاهرة 2002م.
- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي – مطبعة الاستقامة – مصر 1954م.
- تاريخ الأدب الأندلسي – محمد زكريا عناني – ط دار المعرفة الجامعية – مصر 1999م .
- خريدة القصر وجريدة أهل العصر – العماد أبو عبدالله محمد بن حامد بن عبدالملك الأصفهاني – تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبدالعظيم – ط دار نهضة مصر – 1964م.
- ديوان ابن الحداد – تحقيق يوسف علي الطويل – ط الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت 1990م.
- ديوان ابن حمد يس- تحقيق إحسان عباس- ط دار صادر – بيروت 1960م.
- ديوان ابن زيدون – جمع وتحقيق علي عبدالعظيم – مطبعة الرسالة – القاهرة 1957م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني – تحقيق إحسان عباس – ط دار الثقافة بيروت 1979م.
- شعر غازي القصيبي – دراسة فنية – محمد سالم الصفراني – ط مؤسسة اليمامة الصحفية – الرياض 1423هـ
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – جابر عصفور – ط دار الثقافة – القاهرة 1974م.
- الصورة الفنية في شعر ذي الرمة – خليل عودة – رسالة دكتوراه جامعة القاهرة 1987م.
- الصورة في الشعر العربي – علي البطل – ط 2 دار الأندلس بيروت 1983م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – أبو الحسن بن رشيق القيرواني – ط دار الجيل بيروت .
- فنون بلاغية – أحمد مطلوب – ط دار البحوث العلمية – مصر 1975م.
- في النقد الأدبي- شوقي ضيف – ط9 – دار المعارف القاهرة.
- موسيقى الشعر – إبراهيم أنيس – ط 2 مكتبة الأنجلو المصرية 1952م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد المقري التلمساني – تحقيق يوسف البقاعي – ط دار الفكر 1986م.
- النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال – ط 6 دار نهضة مصر – القاهرة 2005م.
- نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق كمال مصطفى – ط 3 مكتبة الخانجي – القاهرة 1978م.